



العلاقات الشرعية والاجتماعية واللاهوتية بين اليهود
والنصارى والمسلمين في «قاعدة في زيارة بيت
المقدس» و«اقتضاء الصراط المستقيم» لابن تيمية

خوليو سيسار كارديناس أريناس | الباحث في دراسة الأديان المقارنة
ومرشد الدكتوراه في العلوم الدينية بجامعة كومبلوتنسي في مدريد



برامج قبل المؤتمر المحاضرة العلمية

المؤتمر الدولي لـ المهيات الزيارة



الأحد، ٢٩ أكتوبر
(تشرين الأول)، ٢٠٢٣
٣:١٥-٢:٠٠ مساءً
(بتوقيت غرينيتش)

intthepilgconf.ir



theopilgconf.ir
pilgrimage@theology@gmail.com

پارسی‌ها
مصریّین
سعودیون

المقدمة

المؤلفات

التعريفات

الأماكن

المدن

المساجد

الاستنتاجات

يرتبط الحج إلى مكة وزيارة المدينة المنورة بالسفر إلى المسجد
الأقصى في بيت المقدس، فتقدم هذه المحاضرة تحليلًا نقديًا
للأحكام الشرعية في السفر والزيارة لبيت المقدس خصوصًا
وعلاقتها الشرعية والعقائدية والاجتماعية باليهود والنصارى
من خلال نصوص الفقيه ابن تيمية نموذجًا.



.حكم ابن تيمية - في القرن السابع الهجري أو الثالث عشر الميلادي
(1263-1328م / 661-728هـ) - أولاً على زيارة بيت المقدس
خاصةً في قاعدته في زيارة بيت المقدس، وعلى الأماكن المقدسة عند
أهل الكتاب عامةً، وثانياً، على الأعياد المكانية والزمانية عند اليهود
والنصارى ومسائل تشبّه المسلمين بهم في كتابه "اقتضاء الصراط
المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم".





وفي نهاية المحاضرة سأقدم بعض الاستنتاجات
عن العلاقات بين الفئات الاجتماعية والدينية
في مؤلفاته المذكورة، وتأثيرها في الأحكام
الشرعية المتعلقة بالعبادات المباحة والمحظورة
عند زيارة بيت المقدس وغيرها من المدن
المقدسة عند أهل الكتاب وأهل الإسلام.



مشكلة البحث

طال الجدال بين فقهاء الأمة حول العبادات المشروعة والمحرمة في الأماكن التي توجد فيها آثار الأنبياء، سواء كانت في مقابرهم أو في المساجد؛ مثل التي في مكة والمدينة وبيت المقدس، والتي تحولت إلى أماكن للعبادة؛ كما في أوقات معينة مثل الحج، وفي أفعال مثل بناء المقابر وزيارتها، وفي السفر إلى الأماكن الموصوفة بأنها مقدسة ومُشتركة بين اليهود والنصارى والمسلمين.



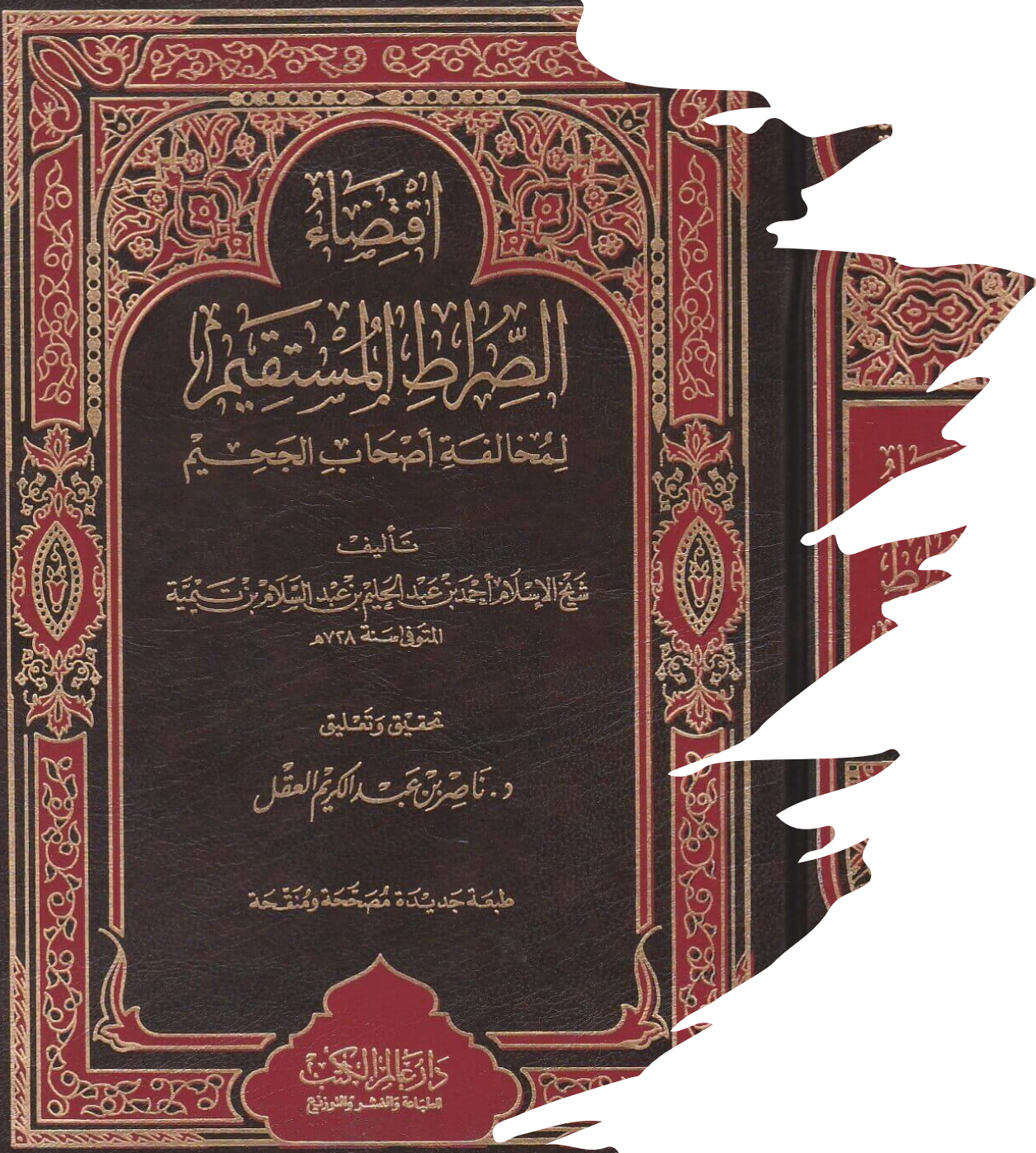


ولقد اخترتُ مؤلفات ابن تيمية لسببين؛ الأول: أنها تجيب
عن أسئلة المسلمين ونقاشاتهم حتى يومنا هذا، والثاني: أن ابن
تيمية يُعدُّ شخصية مثيرة للجدل على مدى القرون بين
مختلف التيارات اللاهوتية والفلسفية والشرعية؛ مما يدل على
أهمية أعماله وأفكاره، إما تأثيراً وإما رفضاً بين المسلمين، ومع
اليهود والنصارى. .



المؤلفات

يقدم هذا الكتاب حُجَجًا عَقَائِدِيَّة وَمَنْطِقِيَّة وَتَارِيخِيَّة لِلجَدَل
الديني في العصور الوسطى مع أفعال اليهود والنصارى، وهو
كتاب مخصص لفقه علاقات المسلمين بهم، ويسعى ابن
تيمية فيه إلى مواجهة تأثير هذه الأقليات الدينية في عادات
المسلمين وعباداتهم ومعتقداتهم؛ فإنه يفضح الأوامر والنواهي
لتمييز المسلمين داخليًا وخارجيًا عن الجماعات الدينية
الأخرى، ويحذر المسلمين من اتباع العادات الاجتماعية
الموجودة في الثقافات؛ لاجتناب اتباع عقائدهم وتشريعاتهم.



مطلب
نذر المستغفر
البيت المقدس

مطلب
معرفه المسجد
الاقص

من بني القبة
على الصخرة

قاعدة في زيارة بيت المقدس

تصنيف الشيخ الإمام العالم العلامة أحمد بن تيمية

رضي الله عنه وغفر له ولنا بكم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً ونستعينه ونستغفره ونعوذ

بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله

فلا مضل له ولا يضل فلاهادي له واشهد ان لا اله الا الله

وحده لا شريك له واشهد ان محمداً عبده ورسوله صلى الله

عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليم كثيراً

في زيارة بيت المقدس ثبت في الصحيحين عن

عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال لا تشد الرحال الا الى ثلاثة

مساجد المسجد الحرام والمسجد الاقصى ومسجد هذا وفي الصحيحين من

حديث ابي سعيد واني هزيرة وقد روي من طرق اخرى

وهو حديث مستفيض متلقي بالقبول والتصديق واتفق عموماً المسلمون

المسلمين على استحباب السفر الى بيت المقدس للعبادة

المشروعة فيه كالصلاة والدعاء والذكر وقراءة القران

والاعتكاف وقد روي من حديث آفة الحاكم في

صحيحه

ان تسليماً عليه السلام سأل ربه ثلاثاً ما لا ينبغي لأحد
من بعده وسأله حكماً يوافق حكمه وسأله انه لا يأم
أحد هذا البيت لا يريد الا الصلوة فيه الاغفر له وله
كان ابن عمر رضي الله عنه ياتي اليه فيصلي فيه ولا يشرب
ماء لتصيبه دعوة سليمان لقوله لا يريد الا الصلوة فيه
فان هذا يقتضي اخلص النية في السفر اليه ولا ياتيه بغير
دينونة ولا بدعه وتنازع العلماء فيمن نذر السفر اليه في
الصلوة فيه او الاعتكاف فيه هل يجب عليه الوفاء بنذره
على قولين مشهورين وهما قولان للشافعي احدى
يجب الوفاء بهذا النذر وهو قول الاكثرين مثل مالك
واحمد بن حنبل وغيرهما والثاني لا يجب وهو قول ابي
حنيفة فان من اصله انه لا يجب بالنذر الا ما كان من
جنسه واجب بالشرع فلهذا يوجب نذر الصلوة والصيام
والصدقة والحج ولعمرة فان من جنسها واجب بالشرع
واوجب نذر الاعتكاف فان الاعتكاف لا يصح عنده الا
وهو مذهب مالك واحمد في احدى الروايتين عنده
الاكثرين فيمن نذر بما رواه البخاري في صحيحه
عما تشهد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال من نذر ان يطعم الله فليطعمه ومن نذر ان يعص الله
فلا يعصيه فامر النبي صلى الله عليه وسلم بالوفاء بالنذر

Landberg
MSS 295

Beinecke Rare
Book and
Manuscript
Library

الأصل اللغوي لمصطلح الحج هو الاتجاه أو النية أو الهدف أو القصد. وبالمعنى الأوسع وفقًا لقاموس النهاية في غريب الحديث من القرن الرابع عشر؛ هو الاتجاه إلى أي مكان. ويتضمن النص القرآني معنيين للحج فحسب، أولًا: الحج الأكبر، نسبةً إلى الحج إلى بيت الله تعالى، وثانيًا: الحج الأصغر، أي العُمرَة في آية واحدة؛ بينما ورد اسمُ الحج تسع مرات في النص القرآني، سبع مرات منها في سورة البقرة، وفي مرة واحدة ورد بكسر الحاء: حَج، ودائمًا يأتي بمعنى أداء فريضة الحج إلى بيت الله الحرام.

وفي حين يشير التعريف اللغوي للحج إلى الاتجاه إلى مكان محدد أو مكان عام، فإن المجال الدلالي في الثقافة الإسلامية يتضمن تعبيرات مثل شهر الحج المسمى بذِي الحِجَّة حسب معجم لسان العرب –من القرن الرابع عشر.

قاعدة في زيارة بيت المقدس تصنيف الشيخ الامام العالم العلامة احمد ابن تيمية (١)

رضي الله عنه وغفر له ولنا بكرمه

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله نحمده ونستعينه
ونستعديه (٢) ونستغفره ونعوذ بالله (٣) من شرور انفسنا ومن
سيئات اعمالنا من يهد الله فلا مضل له من يضل فلا هادي له واشهد
ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله
صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما (٤) كثيرا

- فصل -

في زيارة بيت المقدس - ثبت في الصحيحين عن النبي (٥)
صلعم انه قال لا تشد الرحال الا الى ثلاثة (٦) مساجد المسجد
الحرام والمسجد الاقصى ومسجدي هذا وفي الصحيحين من حديث
ابي سعيد وابي هريرة وقد روى من طرق اخرى وهو حديث
مستفيض متلقى بالقبول اجمع اهل العلم على صحته وتلقيه بالقبول
وتصديق واتفق عما المسلمون (٧) على استحباب السفر الى بيت
المقدس للعبادة المشروعة فيه كالصلاة (٨) والدعاء والذكر وقراءة
القرآن والاعتكاف

وقد روى من حديث رواه (٩) الحاكم في صحيحه ان سليمان
عم سأل ربه ثلاثا ملكا لا ينبغي لاحد من بعده وسأله حكما يوافق
حكمه وسأله انه لا يأتي (١٠) احد هذا البيت لا يريد الا الصلوة

لكن لا يظهر مصطلح الزيارة في النص القرآني، ولكن المجال الدلالي
للحج يشملها، كما يوضح قاموس مفردات ألفاظ القرآن - من القرن
الحادي عشر.

بينما تقدم قاعدة في زيارة بيت المقدس ثلاثة مُرادفات لغوية وشرعية:
الحج، والزيارة، والسفر؛ وفي حالة مصطلحي الزيارة والسفر تحكم على
العبادات المشروعة فيهما مثل الصلاة، والدعاء، والذكر، وقراءة
القرآن، والاعتكاف في المسجد، والأعمال المحظورة فيهما، أما في حالة
الحج فتحكم على العبادات الخاصة به في أماكن وأوقات محدودة.

الوعد بالسفر أو الحج



استشهد ابن تيمية في هذه القاعدة بالقولين المشهورين - فيمن ندر على سفر لأداء الصلاة أو الاعتكاف - للفقير مالك بن أنس، فالرأي الأول هو وجوب الوفاء بهذا الوعد عند جمهور العلماء، مثل مالك وأحمد بن حنبل، وهو رأي اعتبره ابن تيمية، وهو الراجح حسب الحديث النبوي بوجوب الوفاء بالعهد عمومًا إذا لم يكن فيه معصية الله تعالى، أما الرأي الثاني فهو أنه لا يجب الوفاء بهذا السفر أو بحج أو بزيارة، كما قال أبو حنيفة، وهنا وضّح ابن تيمية أنه لا يجب الوفاء بالوعد إلا وهو في الوقت نفسه واجب من الشرع، مثل الصلاة والصيام والحج والعمرة.

العيد والعيد المكاني:

قدم ابن تيمية التعريف الاصطلاحي للعيد بِعَدِّهِ اسمَ جنس يَشْمَلُ أي يوم أو أي مكان تجمع الناس فيه؛ مسلمون أو غير مسلمين، فنَهْيُ الأعياد الدينية لا يقتصر على الأعياد اليهودية والنصرانية للمسلمين، بل يتضمن كل الأوقات والأماكن التي تُعظم بلا أصل شرعي في الإسلام .

• عيد: اسمٌ للمكان، فلا يقتصر على يومٍ أو لحظةٍ خاصة فحسب، أي إنَّ معنى كلمة عيد يشير إلى المكان الذي يُعقد فيه أي اجتماع مستمر فيه عبادة؛ مثل المسجد الحرام في مكة أو المدينة أو مواقع الحج ك: منى ومُزْدَلِفَة وَعَرَفَة؛ فإن هذه الأماكن تعدُّ أماكن للعبادة أو أعيادًا مكانية، على الرغم من أنها كانت قبل الإسلام أماكن للزيارة وللإجماعات الدينية المستمرة بين المشركين، ثم تحولت من أماكن للسفر والزيارة والعبادة الوثنية إلى أماكن للحج الإسلامي والزيارة الشرعية.



القبر عيد مكاني

ذكر ابن تيمية كيف أنَّ بعض أماكن الاجتماعات المرتبطة بالأنبياء أو الصالحين كانت تُعد أماكن للزيارة والسفر إليها؛ للعبادة، أو للاحتفالات الدينية وفقًا لبعض الرؤيا في المنام، ولكن دون أصل تاريخي أو بُرْهان شرعي.

وأضاف ابن تيمية أن هدف الحكايات حول هذه المقابر هو إحداث تأثير فيمن يزورها، وهذه الحكايات تعد قصصًا اخترعها الأشخاص الذين يعتنون بهذه المقابر وآثارها، أي "الذين يأكلون أموال الناس بالباطل، ويصدون عن سبيل الله" ، كما أبدع اليهود والنصارى كثيرًا من القصص والحكايات على قبور أوليائهم .



كان المسلمون تُهوا عن زيارة القبور أولاً، غير أنهم سُمِحَ لهم فيما بعد؛ لأنها تذكر المسلمين بالموت والآخرة . وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- إذا زار قبور المسلمين يؤدي هناك عبادات، مثل الدعاء والاستغفار لهم، ولم يكن يسأل من الموتى شيئاً . فزيارة القبور جائزة للمسلم والمسلمة، حتى زيارة قبور الكفار جائزة ، فزيارة القبور مشروعة، لكن لا يجوز اتخاذها مشهداً.

زيارة القبور:

أعياد غير المسلمين:

وأقر ابن تيمية أن هناك أعيادًا كثيرة ومختلفة عند اليهود والنصارى، ولكن لا ينبغي للمسلم أن يبحث ما هي، ولا أن يعرف عن موصفاتهما، ولكن يكفيه أن يعرف ما هو الفعل واليوم والمكان الذي يعظمه اليهود والنصارى حتى يجتنبه، كما لا يحتاج معرفة سبب هذه الأعياد، ولكن عليه أن يعلم أنها لا أصل لها في الدين الإسلامي، فإنه وضح أن هذه الأعياد من وجهة النظر الشريعة الإسلامية بدعية، وبالتالي هي شيء غير مرغوب فيه في التشريع الإسلامي، أي إنها عمل منكر على المسلمين، إما بالاحتفال بها أو مشاهدتها أو المساعدة في تحقيقها .



الأعياد المكانية:

وقد خصص ابن تيمية فصلاً لأنواع الأعياد المكانية الثلاثة التي يصنعها المسلمون، والتي تقدم في مكان محدد :

النوع الأول: يشير إلى أماكن الاحتفالات أو العبادة التي لا خصوص لها في الشريعة الإسلامية.

النوع الثاني: الأماكن ذات الخصوصية التي لا يقتضي قصدها المساجد أو أماكن للعبادة.

النوع الثالث: تلك الأماكن التي يُشرع فيها أعمال العبادة، ولكن لا يأخذونها عيداً، أي يمكن أن تُنفذ العبادات فيها، ولكن يجب ألا تصبح هذه الأماكن التي تُنفذ فيها هذه الأعمال هي التي تنفذ فيها باستمرار وبصورة متكررة، كما هو الحال مع مقابر الأنبياء عند اليهود والنصارى والمسلمين.



الأماكن

الأماكن المحرمة للعبادة:

عرض ابن تيمية حُكمَهُ على الأماكن المحرمة للقيام بالعبادات المشروعة فيها؛ لأنه لا يُوجد في هذه الأماكن فضل ديني أو شرعي يؤدي إلى تفضيلها، فهي مثل سائر الأماكن في الحكم، أي لا يُقصد إليها، ولا يُجتمع فيها لأداء العبادات، كالصلاة أو الطواف، وإذا كان فيها آثار اليهود أو النصارى أو غيرهم، فهذا الأماكن أقبح للمسلمين؛ لأن العبادات فيها تعد من أعمال التشبه بأهل الكتاب أو المشابهة لعبادة الأوثان التي يؤديها الكفار عبادة ويعتقدون أنهم يتقربون إلى الله تعالى بها. وكذلك أقر ابن تيمية بأن عبادة الأوثان بين مشركي العرب معروفة في كتب السيرة النبوية وأخبار مكة، وبذلك اعترف بوجودها تاريخيًا، وبأهميتها اللاهوتية.



الأماكن

الأماكن المحرمة للعبادة:

ومثال على زيارة الأماكن لعبادة الأوثان؛ زيارة ثلاثة دور من أصنام العرب المذكورة في القرآن ، أي اللات والعزى ومناة، كل منها متجه إلى منطقة من قبائل البدو قبل الإسلام ، ومثال على زيارة ثلاث مدن للحج؛ أي مواقيت الحج هي الطائف ومكة والمدينة على التوالي.

كما شرح ابن تيمية النهي الشرعي عن العبادة عند قبور الصالحين باعتبارها مقابر للمسلمين، ولا يجوز القيام بعبادة معينة أو متكررة فيها، وكذلك في حالة عدم وجود الشخص المذكور، أي إنها مقبرة كاذبة، فهي تنتمي إلى الأماكن التي ليس لها أي فضيلة أو خصوصية لتقوم العبادة فيها .



الأماكن



وبنى ابن تيمية مبدأً شرعيًا فيما يتعلق بمقابر الأنبياء حيث إن "القبور الصحيحة [التي توجد فيها] المقامات الصحيحة قليلة جدًا" ؛ لأنه لا توجد أدلة تاريخية كافية لتأكيد كثير من مواقع مقابر الأنبياء بشكل مؤكد، وبالتالي ربما تُعظَّم أماكن ليس لها أي تفضيل أو خصوصية أصلاً! وإذا لم يُعرف إذا كان في القبور أناس، فالعبادة فيها منهي عنها؛ لأنه لا يجوز السفر إليها أو زيارتها أو أداء أي عبادة بغير علم .

وأخيرًا، أشار ابن تيمية إلى أن تعظيم مكانٍ لم يُعظمه الشرع من قبل أسوأ من تعظيم زمان لم يُعظمه الشرع؛ لأن تعظيم مكانٍ أقرب إلى عبادة الأوثان، ولهذا ينبغي اجتناب الصلاة في مثل هذه الأماكن، ولو لم يقصد المسلم تعظيمها .

ويرى ابن تيمية أن بعض الأماكن المحرمة لأداء العبادات يوجد فيها هي كذلك أماكن يجوز زيارتها شرعاً، ولكن لا يمكن عدها أماكن للعبادات أو مكان عيد متواصل الزيارة، ولو كان فيه قبور الأنبياء أو الصالحين سواء من اليهود أو النصارى أو المسلمين، فهذا النهي جاء عن النبي محمد والسلف، وهو حكم عام وخاص. والنهي العام مبني على الحديث النبوي:

«لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلَا تَجْعَلُوا قُبُورِي عِيدًا،

وَصَلُّوا عَلَيَّ؛ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ» .



وبعد دراسة حديثة لمعرفة درجة اليقين في هذا الحديث النبوي عرض ابن تيمية قيمته البرهانية؛ أي وجهه الدلالي، وحُجَّتُهُ المنطقية والعقائدية؛ هكذا: قبر النبي -صلى الله عليه وسلم- أفضل قبر على وجه الأرض، وقد نهي عن اتخاذ مسجداً أو عيداً، فالنهي فيه أعظم من النهي في سائر القبور؛ وفي هذا الحديث النبوي أُمِرَ المسلمون بأداء الصلاة وقراءة القرآن في بُيوتهم حتى لا تصبح قبوراً لا تُقام فيها الصلاة، أو يُمنع فيها أداء الصلاة. بخلاف ما يفعلهُ المشركون من النصارى عند الصلاة على قبور الأبرار، فإن الصلاة تصل إلى النبي سواء كان قريباً أو بعيداً من قبره ، إذ ترسلها إليه الملائكة ، "فلا حاجة لهم أن يتخذوه مسجداً أو عيداً" ، ولا أن يسافروا إليه لأداء الصلاة أو غيرها من العبادات.





أحكام زيارة مقابر الأنبياء:

• وذكر ابن تيمية الضوابط الأكثر شيوعاً لمن يزور قبور المسلمين عموماً والأنبياء خصوصاً، حيث إنها تعتبر أماكن مباحة للزيارة في الشرع، لكن لا يجوز اتخاذها دوراً للعبادة أو للاحتفالات الدينية، وبالتالي، لها حرمة يجب الالتزام بها، حيث إنها تُعدُّ بيتَ المسلم الميت، ولها أحكام نصّت عليها السنة النبوية، مثل: عدم ترك أي نوع من النجاسة فيها، وعدم الوقوف بها، أو قول الأقوال أو الأفعال الخبيثة فيها التي تضر ذكرى الأموات، ويُستحب للمسلم أن يُسَلِّمَ عليهم بتحية الميت، وأخيراً يجب الدعاء لهم. وكذلك شرّعت طريقة زيارة قبر النبي على من زاره ثم يجب عليه أن ينصرف.



أحكام زيارة مقابر الأنبياء:

فالزوار الذين يقيمون بالصلاة في قبر النبي يبالغون في الأعمال، ويتجاوزون العبادات التي تؤدي في المساجد الثلاثة المدعوة للزيارة، وهي مكة، المدينة المنورة، والقدس ، إذاً عرض ابن تيمية العلة التي تؤدي إلى تحريم تحويل قبور الأنبياء إلى مساجد، سواء بالصلاة أو بالدعاء فيها، وهي مفسدة وتوصل إلى الشرك في العبادات؛ كما حدث عند العرب قبل الإسلام، وعند كثير من الأمم كاليهود والنصارى.

فذكر ابن تيمية أنه إذا سافر الإنسان إلى مقابر الأنبياء أو الصالحين يطلب التبرك بالصلاة في تلك البقعة، فإن هذا العمل يعدّ عين معصية الله ورسوله ومخالفة لدينه وابتداعاً فيه .

ومن الأسباب لتحريم العبادات عند قبور الأنبياء والصالحين أن النصارى عظموا الأنبياء حتى عبدوا تماثيلهم فيها، وأن اليهود قد قاتلوهم .



بيت المقدس كان قِبلة للمسلمين لمدة 18 شهراً، كما كان
للأنبياء؛ منهم إبراهيم حتى نزل أمر الصلاة إلى مكة،
وذكرت القاعدة أن النبي سليمان طلب من ربه الثبات لمن
لا يصلي إلا في البيت، إشارةً إلى بيت المقدس، ولذلك
على المسلم أن يزور المسجد، ولا يؤدي إلا الصلاة فيه،
فلا يؤدي غيرها من العبادات ولا يشرب الماء، اقتداءً بقول
سليمان، وهذا مثال للسفر إلى مكان ديني مع إخلاص
النية دون أهداف دنيوية أو فعل غير مشروع.



زيارة بيت المقدس مشروعة في جميع
الأوقات، ولكن لا يجوز الذهاب إليه، أي
لا يجوز قصده في أوقات ذهاب الضالون؛
مثل عيد النهار من عيد الأضحى، فقد
كانوا يسافرون هناك قربةً إلى الله رغم أنه
مُحَرَّم.

وتختلف الأحكام الشرعية المتعلقة
بالعبادات في مساجد بيت المقدس عن
تلك الموجودة في المسجد الحرام في مكة،
مثل الوقوف، والطواف، والذبح، والحلق،
لأن ما فُرِضَ في الحج تحديداً فهو محرم في
غيرها.



مُدُن أُخرى:

يذكر الفصل الأخير من القاعدة المدنّ والمناطق التي زارها المسلمون؛ لأنها كانت جزءًا من الفُتوحات العسكرية، مثل عسقلان، وعكا، وطَرطوس، وجبل لبنان في الشام، والإسكندرية في مصر، وعبّادان في العراق، وإن لم يكن لأي منها فضل خاص ديني.

في حين تُؤدى فريضة الحج الأكبر والأصغر في مكة، بينما يتم السفر والزيارة العامة إلى أمكنة مكة والمدينة، سواء كانت مسموحة بها أو محظورة في الشريعة الإسلامية، وتُزارُ مقابر الأنبياء وغيرهم بشكل شائع حتى يومنا هذا. وهو أمر نهى عنه النبي محمد، ولم يفعله بنفسه، ولم يأذن به أحد من الأئمة، لكنه ذكر لعنة الله على اليهود والنصارى لتحويلهم هذه المقابر إلى أماكن للسفر الديني أو للحج في دينهم.

فمثلاً ورد عند ابن تيمية السفر إلى قبر النبي إبراهيم، وإلى المدينة المنورة، وإلى الطور أي جبل سيناء، وإلى جبل حِراء بالقرب من مكة حيث عبد فيه النبي محمد رَبَّهُ وجاءه الوحي فيه. وأضاف ابن تيمية أن بالنسبة للمقابر أو المغارات أو الجبال أو غيرها من المشاهد المتعلقة بالأنبياء لا يلزم الوعد بالسفر إليها، وهذا عند الأئمة الأربعة؛ إذ إن السفر إلى هذه الأماكن منهي عنه لقوله صلى الله عليه وسلم:

«لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: مَسْجِدِي هَذَا، وَمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى» .



وهذا الحديث النبوي بمثابة الأساس القانوني، وذكر ابن تيمية في هذه القاعدة الأماكن المحرمة على المسلمين زيارتها

عبادةً، المعروفة عند اليهود والنصارى، منها كنيسة القبر المقدس أي القمامة المعروفة باللغة اللاتينية (Ecclesia

Sancti Sepulchri) وباليونانية (Ναός της Αναστάσεως)، وورد بيت لحم بالعبرية (בֵּית

לְחֶמ) وبالسريانية (ܥܠܝܠܠܐ ܠܚܡܐ)، وباليونانية: (Βηθλεὲμ)، وجبل صهيون بالعبرية (הַר צִיּוֹן).

באלפבית הלטיני	العربية	العبرية	لغات أخرى
Al-Quds	القدس	יְרוּשָׁלַיִם	
Baīt al-maqdis	بيت المقدس	בית המקדש	הקדש
al-Aqṣa	الأقصى		
Al-Shām	الشَّام	שָׂמ	Συρία
Miṣr	مِصر	מִצְרַיִם	ⲙⲓⲥⲣ ⲏⲓⲛⲟⲩ
Al-‘Iraq	العِرَاق		העיראקית Μεσοποταμία
Abādān	عبادان		آبادان
‘Asqalān	عسقلان	אַשְׁקְלוֹן	Ἰλφω
‘Akaḥ	عكا	עֵכּוֹ	Ἀκα ᾿Ακη

المساجد

المسجد الأقصى:

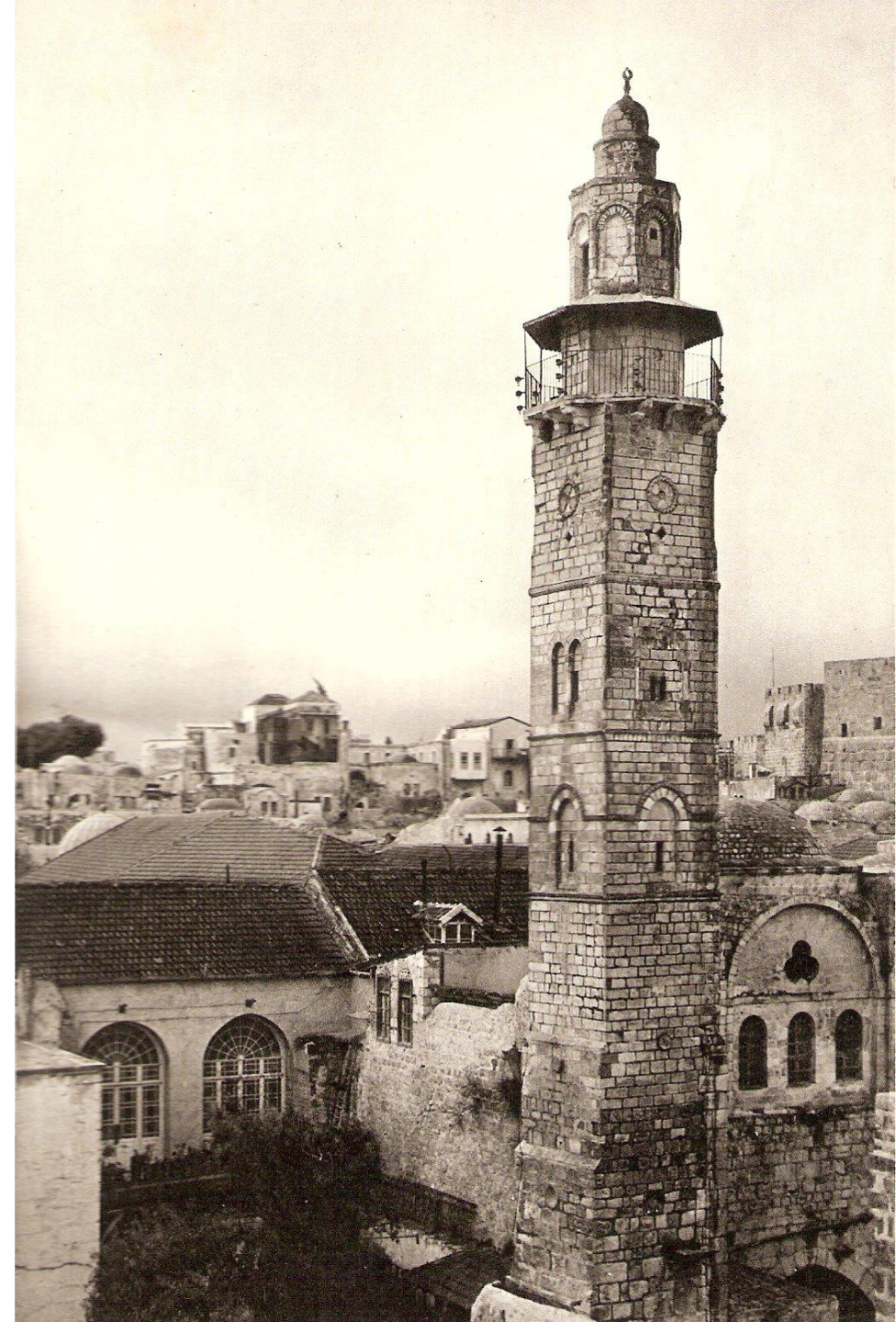
رأى ابن تيمية أن المسجد الأقصى هو اسم لكامل المسجد الذي بناه النبي سليمان، بينما يخلط البعض بينه وبين المصلى الذي بناه الخليفة عمر. وذكر ابن تيمية أن العبادات المشروعة في المسجد الأقصى من جنس تلك التي تؤدي في مسجد النبي، باستثناء المسجد بمكة حينما شُرِعَ له أفعالاً خاصة به؛ كالطواف بالبيت، واستلام الركن اليماني، وتقبيل الحجر الأسود، ففي المساجد الأخرى ليس هناك ما يلتفت إليه ولا يلمسه ولا يقبله، ولا حُجرة النبي محمد أو غيره من قبور الأنبياء.



مسجد الخليفة عمر

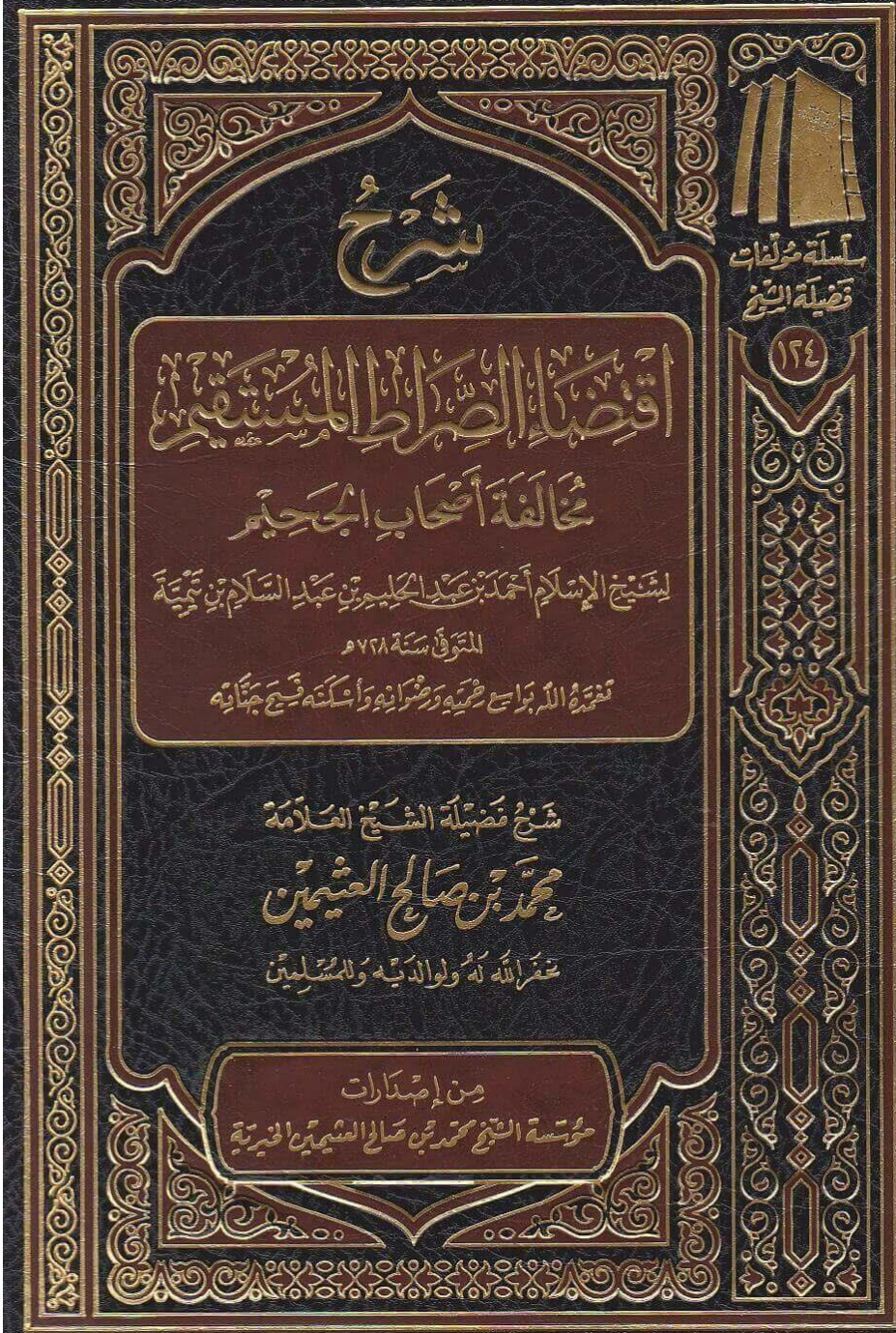
لم يعتبر ابن تيمية الصلاة في مسجد عمر أفضل من سائر المساجد، ويروي في القاعدة تاريخ بنائه وتطوره، فقد بنى الخليفة عبد الملك بن مروان (685-705) فيه قبة مسجد الصخرة، وكساها صيفًا وشتاءً لزوار بيت المقدس، بينما أهل العلم من الصحابة والتابعين لم يعظموا مسجد الصخرة؛ لأنه كان منسوخًا كقبلة صلاة المسلمين.

وقارن ابن تيمية بين نسخ مسجد الصخرة مع نسخ يوم السبت عند اليهود ويوم الأحد عند النصارى بيوم الجمعة عند المسلمين، ولهذا نهى المسلمون عن القيام بأي عمل من أعمال العبادة اليهودية والنصرانية في هذه الأيام. وكذلك ليس في القدس مكان آخر للعبادة خاص للمسلمين غير المسجد الأقصى، ولكن من زار قبور الموتى ودعا لهم بالرحمة فهو عمل حسن؛ لأنه من سنة النبي الدعاء عند زيارة القبور والسلام على أصحابها.



مسجد قباء

ثم ذكر ابن تيمية مسجد قباء بالمدينة المنورة، لأن النبي كان يأتي كل يوم سبت راكبًا أو ماشيًا لأداء الصلاة، وكأنه أدى العمرة، ولا يقارن هذا العمل باليهود أو النصارى.



بناء المساجد على المقابر:

«[...] وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ
مَسَاجِدَ، إِلَّا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنهَاكُمُ عَنْ ذَلِكَ». (في
باب النَّهْيِ عَنِ بِنَاءِ الْمَسَاجِدِ عَلَى الْقُبُورِ وَاتِّخَاذِ الصُّورِ فِيهَا
وَالنَّهْيِ عَنِ اتِّخَاذِ الْقُبُورِ مَسَاجِدَ) .

«قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ» .

«لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسْجِدًا». (في
باب مَا يُكْرَهُ مِنْ اتِّخَاذِ الْمَسَاجِدِ عَلَى الْقُبُورِ) .



وكما وضح ابن تيمية هذا النهي يُعطى في آخر حياة النبي، ثم أتى صيغة اللعن لمن يفعل ذلك من أهل الكتاب لتحذير أمتهم وأمتة من ذلك .

ثم قضى ابن تيمية في حُكم المساجد المبنية على قبور الأنبياء والصالحين والملوك بوجوب إزالتها بالهدم أو غيره، كما يُحرم الصلاة فيها، وعرض هذه المسألة الشرعية على أنها لا خلاف فيها بين العلماء .



الاستنتاجات

تتضمن التعريفات الاصطلاحية التي وضعها ابن تيمية -مسبقًا- مواقفَ اللاهوت والشرعة الإسلامية، كما أصبحت أنواع الأعياد الإسلامية وحكمها مُرتبطةً بالأعياد اليهودية والنصرانية، والظاهر أن الأحكام المتعلقة بالأعياد المكانية والزمانية متعلقةً بوجود اليهود والنصارى في أمصار أول الإسلام، وبسبب أسفار المسلمين إلى بلاد أهل الكتاب دعوةً أو تجارةً. فحدد ابن تيمية مشروعية هذه الأماكن والأوقات حسب علاقتها بالعبادات التي يتم تنفيذها عندهم بين أهل القرآن وأهل الكتاب؛ ولهذا السبب فإن التَّدْيُنَ الإسلامي المحيط ببناء المقابر وزيارتها مرتبطٌ بالعبادات فيها وحوها، سواء للمسلمين أو لليهود أو للنصارى، لكن مؤلفات ابن تيمية تقتصر على الأحكام الإسلامية دون مقارنة بالأحكام من تشريعات أهل الكتاب أو عقائدهم.



الاستنتاجات

وتجمع نصوص ابن تيمية الأسباب الاجتماعية والسياقات التاريخية بالأدلة الشرعية والحجج العقلية؛ لتحديد أحكام السفر والعبادة في الأعياد المكانية والزمانية، وهي مرتبطة بآثار الأنبياء والمرسلين لليهود والنصارى والمسلمين في بيت المقدس وغيره من الأماكن المقدسة لديهم بسبب المجاورة والعلاقات الاجتماعية بينهم.

إن تحريم أو إباحة الممارسات الدينية المذكورة ليس في ذاته، بل يعتمد على نوع المكان والزمان الذي يتم فيه. فزيارات المقابر وبناء المساجد عليها محرمة عمومًا، بسبب الأفعال المحيطة بمثل هذه الأبنية، ولكنها جزء من المباني الإسلامية الشعبية حتى يومنا هذا، مما يصير صراعات شرعية واجتماعية بين مختلف التيارات اللاهوتية بين المسلمين.



الاستنتاجات

وقد أوردت الأحكام المتعلقة بالحج والزيارة المذكورة في "قاعدة في زيارة بيت المقدس" وفي كتاب "اقتضاء صراط المستقيم" أسسًا لاهوتية مختلفة لا تقتصر على القرآن والسنة؛ لأن التشريع الإسلامي مرتبط بسكان أهل الكتاب بين المسلمين الأوائل.

وأخيرًا، قدم ابن تيمية معرفة موسوعية عن أصول الشريعة ومذاهبها والاختلاف بين آراء أهل الشريعة، ويسعى إلى التفريق بين اليهود والنصارى والمسلمين ليس فقط في شعائر العبادة المسموح بها وفي الأفعال المحظورة على المسلمين في حَجِّهم وزيارة المساجد الأخرى، ولكن في الاستخدام الديني للأماكن والأوقات في مثل هذه الشعائر.



شکرا جزایلا / خیلی ممنونم